المتعة التي يراقب بها القارئ فصول الرواية. فالقارئ يراقب ويتلصّص لأنّه عرف فصول الرواية مع صفحاتها الأولى، وهذا التلصّص هو استمرار لقراءته التي سبقت الصغير الذي غادر بيته. تلصُّص القارئ يبدأ من بيت الطفل الصغير إلى الطبيعة الواسعة؛ وأما تلصُّص الطفل الرضيع فيتوقف بعد أن يغادر الطفل عالم البيت ليعيش حياته مندمجاً مع الطبيعة. ذلك ما يمهّد للرواية خاتمتها المأساوية التي تنتهي بتوقف كل أشكال التلصّص من لدن الطفل ومن لدن القارئ لتستمر لعبة الحياة الأثيرة عند الشخصية التي غابت فجأة، ولتظلّ اللعبة الكبيرة مستمرّة – عنيْتُ: لعبة صيد العصافير، وهي التي تمنح الرواية بابها المفتوح أبداً.

في **طيور الحذر** روايتان: الأولى، حين كان الطفل طيراً في أيدي محبّيه، أي أمّه وحنّون؛ والثانية، حين أصبح هو الذي يحنو على العصافير. ولقد انتقلت الرواية الأولى إلى الثانية مثلما انتقل الطير طفلاً من يدي أمّه إلى يديه هو صيّاداً عاشقاً للطيور والعصافير.

أما الرواية الثالثة، التي يحدسها القارئ من دون أن يقرأها، فهي تلك التي اصطاد فيها العالم المُضادُ الطفلَ الصغير أو الطير الصغير من دون اصطياد كل الطيور وكل العصافير. وبذلك فإن الرواية الأخيرة التي يتوقّعها القارئ تبشّره بشكل من أشكال الرواية المفتوحة التي لا تنتهي، وهي قراءة لرواية يصنعها القارئ بنفسه وهو يأخذُ من يد الصغير عصافيرَه وطيورَه خشيةَ أن تسقط في فخّ العالم المُضاد.

هكذا تتمتّع رواية ابراهيم نصر الله بشرط روائي خاص يتجاوز ما يمكن أن يخدع القارئ لأوّل وهلة بما يمكن أن نسمّيه نوعاً من السيرة أو الرواية الذاتية لبطل الرواية... لتقدّم عملاً يكسر هذا التقليد. فالتقليد يسقط، على الأغلب، في فخّ اليوميات التي تمضي بشكل مُستقيم، يمنع على الرواية حريتها، ويمثّل العنصر السلبي في رواية السيرة الذاتية، الأمر الذي تجنّبه المؤلّف بذكاء.

بغداد

تشاعر

فاضل الغربي

سابحٌ في دم الغَسَقْ
زادهُ الجوعُ والقَلَقْ
يحطبُ الليلَ حُزْنُهُ
وعلى وجههِ الفَلَقْ
راكضٌ خلفَ نهرهِ
بعدما نهرُهُ انطلقْ
«أيُّها النهرُ لا تَسرْ»
انهُ موسمِ الغَرَقْ
«أنا أحضرتُ مركبي
هو يا نهرُ من وَرَقْ»
العن الشعر إنْ يكنْ
كلماتٍ على الورقْ!

***

قفا نبك حتى نُرجعَ الياءَ للألفْ
سنبكي بلا دمعٍ بلا أرجلٍ نقفْ
مَنْ يشربُ عطشي
مَنْ يأكلُ جوعي
مَنْ يَلبسُ عُريي
رَحُبتْ من حولي الصحراءُ
وها أنذا أتنفّسُ من خُرمِ الإبرةِ
يا شعراء!
يا فقراءَ الأرضِ المتخومينَ
مَنْ لم تخرجْ من فَمِهِ الصحراءُ
يتبعْني
من يملكْ عُنقاً لا تُحنى
يتبعْني
من يملك عنقاً لا تُحنى
بل تكسرْ
يتبعْني
لنحاول مُلكاً أو نُعْذَرْ!
قفا نبكِ من ذكرى هوىً ليس يذكرُ
سنصحو من الهمِّ القديمِ ونسكرُ
مَرّتْ كلُّ رياحِ الأرضِ
فماذا ترقبُ يا ابن العبدِ؟!
أن تعبر فوق بقاياكَ الخيلُ
وينكركَ الفرسانْ؟
أن يتوحّد فيك الضدّانْ
فتُصلبَ بين الحانةِ والحانةِ
ويشربَ من دمكَ الشعراءُ الشحاذون؟
ماذا ترقبُ؟
قفا نبكِ من ذكرى هوىً ليسَ يُدركُ
سنبكي دماً ممّا نراهُ ونضحكُ
مَرّتْ كلُّ مساءاتِ العالمْ
فلماذا لمْ يشرقْ ليل الشعراءْ؟
مَرّتْ كل نهاراتِ العالمْ
فلماذا
لمْ تغبِ الشمسُ السوداءْ؟!

بغداد